الألبانيُّون

عدة تسميات لأمة واحدة(*)

د . محمد موفاكو

ليست اللغة العربية هي الوحيدة التي تطلق على هذه الأمة تسميتين مختلفتين هما الأرناؤوط والألبانيون . ففي اللغات الأوربية ايضا ، ولا سيما في لغات البلدان المجاورة ، نجد عدة تسميات :هي : « ارفانيت » في اليونانية ، و « ارناوط » في التركية والبلغارية ، و « ارباناس » في اليوغسلافية » و « البانيون » في اللغات الغربية بالاضافة الى « شتشيبتار » في اللغة الالبانية . وهكذا يتضح أن الصيغتين المستعملتين عند العرب قد وردتا من اللغات الأخرى ، مع أن البعض قد حاول أن يجد لهما تفسيرا عربيا على أساس العلاقات العربية ـ الالبانية .

وتجدر الاشارة هنا الى أن آراء العلماء الاوربيين كانت مختلفة حول أصل التسميات التي أطلقت على الألبانيين كاختلافهم في أصل الألبانيين أنفسهم(١) . ولكن في المدة الأخيرة أصبحت نتائج البحوث المختلفة تؤكد

(*) يستعرض هذا المقال خلاصة النتائج الأخيرة للأبحاث المختلفة ، ولذلك فهو لايقلل من قيمة المحاولة السابقة التي نشرها الأستاذ محمود الأرناؤوط في جريدة « الثقافة الاسبوعية » قبل عدة سنوات تحت عنوان « الارناؤوط ـ هذه الكلمة من أين أتتنا وماذا تعني » . انظر :

محمود الأرناؤوط ، الكشكول الصغير ، بيروت ١٩٨١ ، ص ٦٤ ـ ٦٧ .

(١) كان العالم ثونمان Thunmann خلال القرن ١٨ أول من أطلق النظرية الأولى حول استمرارية الألبانيين في مناطقهم الحالية ، وبالتحديد حول انحدار الألبانيين من الاليريين الذين كانوا يسكنون هذه المناطق في العصر القديم . وقد أيد هذه النظرية لاحقاً عدد كبير =

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أكثر فأكثر صحة النظرية الأولى التي تقول بانحدار الالبانيين من الاليريين ، أي من السكان القدماء للبلقان[٢] . مما ساعد على حلّ بعض الاشكالات المتعلقة بأصول التسميات التي تطلق على الألبانيين .

وهكذا أصبح من المعروف الآن أن أقدم ذكر للالبانيين قد ورد لدى الجغرافي الاسكندراني بطليموس في القرن الثاني للميلاد . ففي الجزء الثالث من كتابه ، في القسم المتعلق بـ « الموقع الذي تحتله مكدونيا » ، يذكر بطليموس أنه « في أراضي الالبانيين Albanoi تقع مدينتهم البانوبوليس Albanopolis » ويحدد مكان هذه المدينة في الخط الذي يقطع الآن قلب ألبانيا الحالية ، وبالتحديد مابين مدينة ديبرا Dibra في الشرق ومدينة دورس Durrës في الغرب[٣] . الا ان البعض بقي يشكك في حقيقة ما ذكره بطليموس وفي قيمته ، الى ان اكتشفت في المدة الأخيرة الآثار التي تعود أيضا الى القرن الثاني للميلاد ، والتي تحدد وجود هذه المدينة كما سماها بطليموس[٤] . لقد أشار بطليموس الى الألبانيين على أنهم

= من العلماء البارزين كـ ميير Meyer ، وبدرسن Pedersen ، ويوكل Jokl ، وهامب Hamp الخ . وفي نهاية القرن ١٩ وبداية القرن ٢٠ ظهرت نظرية أخرى تقول بانتقال الألبانيين من قلب البلقان ، من مكان ما يتوسط التراقيين والرومانيين ، الى المناطق الحالية التي يسكنونها ، على امتداد البحر الادرياتيكي ، وذلك بالاستناد الى نوع من التقارب بين الألبانية والتراقية القديمة والرومانية الحالية .

(٢) مع أن يوغسلافيا ، حيث يعيش اليوم نصف الألبانيين تقريباً ، بقيت هي الساحة الكبيرة التي تتعارض فيها النظرية الأولى والثانية حول أصل الألبانيين ، فإن الطبعة الجديدة من « موسوعة يوغسلافيا » قد حسمت الأمر بالقول ان « الابحاث اللغوية والاتنولوجية والاركيولوجية وغيرها قد أصبحت تقود نحو الاصل الاليرى للغة الألبانية » :

Albanci, Enciklopedija Jugoslavije, II izdanje, zagreb 1984, s.1

(٣) كتاب « الجغرافيا » كما ورد في :

Ilirët dhe Iliria te autorët antikë, Prishtinë 1979, f. 268

(٤) B. Dragojević - josifovska, Ziva antika XXI - 2, Skopje 1971, s. 513-522

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

إحدى العشائر الاليرية ، التي كان عددها حينئذ يقترب من عشرين . ولكن مع الزمن تغلب الجزء على الكل ، وأصبح هذا الاسم (الالبانيون) يقصد به التشكّل الجنسي الجديد الذي أخذ يتبلور في مناطقه خلال القرون الوسطى .

ففي القرن الحادي عشر وخلال عدة سنوات (١٠٧٢ ـ ١٠٧٩) يتردد ذكر الألبانيين عدة مرات لدى الكاتبين البيزنطيين ميخائيل آتالياتي ، وآنا كومنينا : مرتين بالصيغة التي ذكرها بطليموس أي Alban-oi ، ومرة باسم اربانيتا Arbanita[٥] . ويلاحظ هنا أنه من ذلك الوقت سيصبح الجذر المشترك لكل التسميات اللاحقة : « الب » alb أو « ارب » arb اي بقلب اللام الى راء . وليس من المصادفة أن تتردد كثيراً التسميات المتعلقة بالألبانيين في المصادر الاوربية منذ ذلك الحين ، اذ أن ذلك يرتبط بزخم الاحداث التي تطورت في المناطق الالبانية حتى وصول العثمانيين ، أي حتى القرن الرابع عشر .

وهكذا نجد أن اللاتينية قد أخذت في بادىء الأمر (١١٦٦) بجذر « ارب » لتصوغ تسمية اربان والاربانيين Arbaneses . وفي الوقت نفسه (القرن ١٢) اعتمدت السلافية الجنوبية (الصربية) جذر « ارب » لتأخذ منه صيغة « اربانس Arbanas إلا أن اللاتينية تحولت منذ القرن الثالث عشر الى الجذر الآخر لتشتق منه صيغة الباني وألبانيين ، تلك التي شاعت لاحقا في كل اللغات الأوربية الغربية . ويبدو أن طغيان جذر « الب »

(٥) تجدر الاشارة هنا الى أن الكاتبة آنا كومنينا تستعمل أيضاً تسمية « اربانون » Arbanun للدلالة على وطن الألبانيين ، وتعيّن بشكل تقريبي حدود هذا الوطن مابين مدينة دورس Durrës ونهر درين Drin ، أي على وجه التقريب في المجال الذي حدده بطليموس لعشيرة الألبانيين الاليرية :

Historia e Popullit Shqiptrë I, Prishtinë 1969, f. 159

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قد جاء نتيجة للايحاء الذي كانت تتركه الكلمة اللاتينية « البوس » albus (ابيض)[٦] .

وفي الوقت نفسه ، الذي اتسم ببروز الأمراء الالبانيين المحليين الطامحين الى المشاركة في الحكم أو في التفرد به عن بيزنطة ، كان الألبانيون قد اخذوا لأنفسهم جذر « ارب » ، وشاعت منذ ذلك الحين عدة صيغ كانوا يطلقونها على أنفسهم : اربر « arbere » ، اربن « arbënë » ، اربرش « arbëreshë » ، اربنش « arbëneshë » وعلى بلادهم آربريا arbëria أو آربنيا Arbënia[٧] .

وهكذا في ذلك الوقت (القرن ١٤) الذي تعددت فيه التسميات ، بدأ الاحتكاك بين الألبانيين والعثمانيين الذي انتهى بعد قرن من الزمن إلى سيطرة العثمانيين على المناطق الألبانية . وقد مال العثمانيون حينئذ الى الصيغة اليونانية الحديثة « ارفانيت » Arvanitai، التي كانت قد تطورت من « اربانيت » . ونتيجة للابدال بين حرفي n ,v ، وتحول i الى u بسبب قوانين التناغم للغة التركية أصبح العثمانيون يطلقون على الالبانيين اسم Arnavud ، الذي كان يكتب بالعثمانية « ارنود . وكان العثمانيون قد كونوا وحدة ادارية جديدة في المناطق التي سيطروا عليها وسموها « سنجق ارفانيد » أو « سنجق ارنود »[٨] . وكما يبدو فان الصيغة

(٦) ان هذا الايحاء يبدو قائما حتى القرن ١٨ . وهكذا نجد مثلا ان كنية البابا الألباني الأصل كلمنت الحادي عشر « ألبانو » Albano تترجم حرفيا الى « الابيض » :

Rexhep Ismaili, Emri i Shqiptarëve, jala, Prishtinë 15. X. 1985, f. 3

(٧) مع ترسخ هذه التسميات ، وخاصة مع بروز « امارة آربريا » في نهاية القرن ١٢ وخلال القرن ١٣ ، أصبح اسم الألبانيين يتردد كثيراً في المصادر الاوربية المختلفة ، نظراً لتحور الكثير من الأحداث في مناطقهم .

(٨) حول هذا السنجق وأهميته انظر :

H. Inalcik, Hicri 835 tarihli suret - i defter - i Sancak - i Arnavud, Ankara 1954

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العثمانية بقيت تصاحب في البداية الصيغة اليونانية « ارفانيت » الى ان بقيت وحدها في الاستعمال . ولكن فيما بعد ، مع التغيرات الادارية في المناطق الألبانية ، أخذ العثمانيون يستعملون صيغة جديدة « ارنود لك » للدلالة بشكل عام على المناطق التي يعيش بها الألبانيون ، وبغض النظر عن التقسيمات الادارية المتعاقبة[٩] .

وخلال العصر العثماني أخذ الالبانيون يميلون الى صيغة جديدة يطلقونها على أنفسهم : شتشيبتار shqiptarë ، أو شكيبتار shkiptarë ، وهي الصيغة التي حافظوا عليها الى اليوم . وكان جذر هذه التسمية الحديثة « شتشيب » shqip (الكلام بوضوح ، بفصاحة) قد استعمل في أول كتاب ألباني مطبوع (١٥٥٥) ثم توسع معناها ليشمل اللغة الألبانية عامة shqija . shqipe . وفي تطور لاحق أضيفت اللاحقة « تار » tar لتعني المتكلم بالالبانية أو الألباني shqiptar . ولقد وردت هذه التسمية لأول مرة في وثائق« المجلس الألباني » (١٧٠٣)[١٠] ، إلا أنها أخذت تنتشر تدريجيا حتى أصبحت خلال القرن ١٩ التسمية الوحيدة التي يطلقها الألبانيون على أنفسهم[١١] . وقد ترافق هذا مع تشكل وانتشار

(٩) أصبح الألبانيون فيما بعد يتوزعون على أربع ولايات عثمانية في البلقان : ولاية شكودرا ، وولاية كوسوفا ، وولاية مناستير ، وولاية بانينا ، مما كان يغذي مشاعر السخط ويدفع الحركة القومية للمطالبة بتوحيد هذه الولايات الأربع في ولاية واحدة (ارناودلك) تتمتع بحكم ذاتي . للتوسع حول هذا ، انظر :

د ١ انتوني سوريال عبد السيد ، الرابطة القومية الألبانية (١٨٧٨ ـ ١٨٨١) ، القاهرة ١٩٨٦

(١٠) Rexhep Ismaili, Gjuha e Kuvendit të Arbrit, prishtinë 1986

(١١) لقد تركت هذه التسميةُ انطباعاً خاصاً لدى الشاعر الانكليزي جورج بايرون . فخلال تجواله في غرب البلقان كان يحرص على ان يسأل السكان عن قوميتهم ، فكان لايسمع الا « مسلم » أو « مسيحي » ، بينما كان لايسمع في المناطق الألبانية الا « شتشيبتار » : No-li , Vepra 2 , Tiranë 1987 , F . 78

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الصيغة الجديدة التي تحدد الوطن القومي للالبانيين : « شتشيبريا » Shqipëria أو « شتشيبنيا » Shqypnia[١٢] .

ومن المعروف ان العصر العثماني كان قد جمع العرب والالبانيين ، بالاضافة الى غيرهم من الشعوب ، في دولة واحدة لعدة قرون (ق ١٦ ـ ٢٠) . ومن الطبيعي في هذه الحالة أن يميل العربُ في البداية الى الصيغة العثمانية . « أرنود » ، التي أصبحت تكتب لاحقاً بأشكال مختلفة : « أرنوود ، أرناود ، أرناووط » . وعلى هذا الأساس أيضاً أخذ العرب بالصيغة العثمانية لتسمية المناطق الألبانية أرناودلك) : بلاد الأرنود ، أو بلاد الأرناووط . وفي وقت لاحق ، في النصف الثاني للقرن التاسع عشر ، أخذت الصيغة الأخرى ، ألبانيا والألبانيون ، تستعمل في اللغة العربية ، وبالتحديد في اللغة الحديثة التي بدأت تظهر في الصحف والمجلات . وفي هذا الاطار تجدر الاشارة مثلا الى دور مجلة « الجنان » اللبنانية ، التي عززت هذه الصيغة الجديدة بعد أن نشرت على حلقات كتاب باشكو فاسا « ألبانيا والألبانيون » خلال ١٨٨٢[١٣] .

هذا ، وقد بقيت الصيغة الأولى (الارناووط) هي الأكثر شيوعاً في العربية حتى نهاية العصر العثماني . وكان مما ساعد على شيوع هذه التسمية تعميمها كلقب على كل المهاجرين الألبانيين الذين استقروا في المشرق ، ولاسيما في مصر والشام خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن

---

(١٢) وبعبارة أخرى ان هذا ينفي الرأي الذي شاع فترة من الزمن عن ارتباط هذه التسمية Shqiponjë (النسر) وبالتالي اعتبار « شتشيبريا » بلاد النسور .

(١٣) تجدر الاشارة هنا الى أن المؤلف كان متصرف جبل لبنان في تلك المدة (١٨٨٣ ـ ١٨٩٢) ، وكان كتابه هذا قد صدر أولا بالفرنسية في باريس سنة ١٨٧٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العشرين[١٤] . الا أن الصيغة الثانية (الألبانيون) شقت طريقها بسرعة في السنوات الأخيرة للعصر العثماني ، ولاسيما بعد أن أعلن الاستقلال الألباني (١٩١٢) ، وبعد أن استقر كيان ألبانيا دولةً منذ ١٩٢٠ .

ومع أن الصيغتين ، الأولى والثانية ، قد دخلتا الى العربية من بقية اللغات (التركية من ناحية ، والفرنسية والانكليزية من ناحية أخرى فإن بعضهم أراد أن يجد تفسيراً عربياً للصيغة الأولى (الأرناووط) بالاستناد الى التداخل الذي حصل بين العرب والألبانيين . وبعبارة أخرى لقد كان الاصل العربي للتسمية يفترض بدوره الاصل العربي للألبانيين . وهكذا فقد راجت في الجانب العربي خلال نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الآراء عن الأصل المشترك للعرب والألبانيين . وكان ممن روجوا لهذه الآراء المؤرخ أحمد بن زيني دحلان ، الذي يعرّف الألبانيين بأنهم « من عرب الشام من بني غسان ارتحلوا من الشام بعد ماأتى الله بالاسلام »[١٥] .

وبالاستناد إلى ذلك أصبح من الممكن القول ان كلمة « ارناووط » تعود في أصلها الى عبارة « عار أن نعود » ، التي تفوه بها العرب - الألبانيون بعد ان استقروا في وطنهم الجديد[١٦] .

(١٤) حول هذه الهجرة الى المشرق هناك تفصيلات في اللغة العربية :
د . محمد موفاكو ، الألبانيون في سوريا ودورهم في الحياة السورية ، المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام ، ج ١ ، دمشق ١٩٧٨ .

(١٥) احمد بن زيني دحلان ، الفتوحات الاسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية ، ج ٢ ، القاهرة د . ت ، ص ١٣٠

(١٦) لقد كان المؤرخ العزاوي ممن ذكروا ورفضوا هذه الرواية جملة وتفصيلا : عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٤ ، بغداد ١٩٤٩ ، ص ٤٨ ـ ٤٩ . ويمكن أن نضيف هنا أن ترويج هذه الرواية في بداية القرن ٢٠ كان له هدف سياسي ، الا وهو دعم تطلعات الملك فؤاد لمركز الخليفة بعد الغاء الخلافة في تركيا الكمالية سنة ١٩٢٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولقد كنا بيّنا في بحث لنا الوضع في الجانب الآخر (الألباني) ، الذي يتميز بوفرة الروايات المتعلقة بالأصل العربي للألبانيين وأهميتها . وبهذه المناسبة كنا قد توصلنا الى أن الشريعة الاسلامية في هذه الروايات نشأت في عصر متأخر ، وبالتحديد فوق شريحة مسيحية أقدم ، بينما يمكن تتبع الأصل الى الاسطورة المتعلقة بالأصل المشترك بين الفينيقيين والاليريين ، أي بين أجداد السوريين وأجداد الألبانيين[١٧] .

(17) Dr. muhamed mufaku, prania e shqiptarëve në botën arbe¨gjatë shek. XVIII- XIX dhe në fillim të shek. XX, diser.i doktoratës, F. Filozofik, prishtinë 1986

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net